المعجـــــزات العلميـــة في القـــرآن الكريـــم

عبد الوهاب مدور

المعجزة *في اللغة اسم فاعل من مصدر الإعجاز. فيقال عَجَزَ فلان عن الأمر، إذا حاول فلم يستطعه. والمعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدّي، سالم من المعارضة، يُظهره الله تعالى على يد رسله.*

والقرآن الكريم أعظم معجزة في التاريخ، اختلف عن سائر معجزات الرسل السابقة، إذ انها كانت مادية ومؤقتة، كعصا موسى، وناقة صالح، وإحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام... الخ. وكثير منها زال بعد وفاة رسولها، ولولا أن ذكرها القرآن لأنكرها الناس ونَسُوها. وهكذا فالقرآن معجزة بلاغية علمية حضارية صالحة لكل العصور (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً) (سبأ ٢٨).

وإعجاز القرآن أكثر من أن يحصى. فمن حيث البلاغة، تضمن لغةً عربية متطورة، لم تكن معروفة قبله، ولم يستطع أحد مجاراتها. فالشعر والنثر يحويان الصدق والكذب، والتناقض والحشو، بخلاف القرآن فهو الصدق المطلق، الدي لا مبالغة فيه ولا حشو ولا كذب. وحين يخيل إلينا أن بعض الآيات فيها مبالغة، فهذا راجع إلى قِصر نظرنا، وسيأتي اليوم الذي تصبح فيه هذه المبالغة أمراً منطقياً علمياً. فهو الذي أغنى اللغة العربية، فنقلها من لغة صحراوية محدودة إلى لغة حضارية غنية، أصبحت فيما بعد من أرقى لغات العالم. وحفظ لها قواعدها النحوية، وأوجد النقاط والشكل، وهذا نادر في اللغات الأجنبية، وهو مما جعلها لغة مختزلة، وأصبح القرآن مرجعاً للبلغاء والشعراء والعلماء يزينون كتبهم بآياته.

والأهم من ذلك أن القرآن نزل على رجل عادي، نشأ يتيماً فقيراً، رجل أمي عاش في قوم لم يشتهروا بالبحوث العلمية، ومع ذلك تميزوا بالبلاغة والشعر، وكانوا يقدسون البلاغة، حتى إنهم وضعوا المعلقات السبع على جدار الكعبة، وهي أقدس مكان لدى العرب. وجاء القرآن ليتحداهم، أن

يأتوا بسورة من مثله، ولما عجزوا عن ذلك أصبح القرآن معجزة لقبيلة قريش، وسائر القبائل العربية، فأقبلوا على حفظه والسير على هداه وأصبحوا من أعظم الفاتحين الذين نقلوا هذه الحضارة الإنسانية إلى أقاصي المعمورة. ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يشتهر بالشعر، ولا بالبلاغة التي اشتهر بها امرؤ القيس وغيره من شعراء العرب، ولم يشتهر بعلم الطب، ولا بعلم الفلك، ولا بعلم الذرة.. لكنه بعد أن تلقى الرسالة، أصبح أفصح الناس قاطبة، وأوتي جوامع الكلم وينابيع الحكمة، ووصل إلينا من حكمه ما ينيف على مائة ألف حديث، قالها بعد تلقي الرسالة ؛ وغدا المثل الأعلى للبشرية في كل شيء.

وفي القرآن حقائق علمية لم تفهمها البشرية إلا اليوم. في قمة التقدم العلمي، بل هناك معجزات لم تكتشف بعد، ولو أنها تؤول حسب مستوى العصر. وفيه تصحيح للرسالات السماوية السابقة التي لم تسجل في حينها واعتراها التحريف، لكن الله عز وجلّ أراد أن يعيدها إلى جادة، الصواب، فبعثها من جديد وصححها في القرآن الذي لم يتعرض إلى أي تحريف(إنا نحن نزّلنا الذكر وإنا له لحافظون)(الحجر ٩). فقد حوى تاريخ الأقوام السابقة كفرعون وعادٍ وثمود... الخ بأسلوب فريد من نوعه. وفيه إشارات لحقائق تاريخية أيدتها البحوث العلمية الحديثة، مثل قصة إغراق فرعون وجيشه ثم قذفه إلى البر. وبعد ألفٍ وتسعمائة سنة قال عنه القرآن(فاليوم ننَجّيكَ ببدنك لتكون لمن خلْفَكَ آية..) (يونس ٩٢). وبالفعل اكتُشفت جثته أخيراً كما هي، ووجد في فمه آثار من ملح البحر.

وفي القرآن إشارات إلى كثير من التنبؤات التي حدثت فيما بعد، كانتصار الروم، وفتح مكة؛ والتي لم تحدث بَعْدُ، مثل قيام الساعة، وهذه بعض دلائلها من الأحاديث الشريفة: "لا تقوم الساعة حتى يسود كلّ أمة منافقوها" (الربيع). "وحتى يتطاول الناس في البنيان" (البخاري)، و"حتى يكثرَ المال ويفيض، وحتى تعودَ بلاد العرب مروجاً وأنهاراً" (مسلم)... الخ وهذه الأخيرة تؤيدها ظاهرة زحف كتلة الجليد من القطب الشمالي ببطء، نحو الجنوب بما في ذلك بلاد العرب. ويقول الدكتور كرونر إن هذا الكلام لابد أن يكون وحياً من السماء.

كما تضمن القرآن معجزاتٍ رقمية، فهناك أحرف تتصدر بعض السور: مثل "ال م ر" في سورة الرعد، وثبت أن تكرار الحرف الأول أكثر من تكرار الحرف الذي يليه. فالألف تكررت ٦٢٥ مرة، واللام ٤٧٩ مرة، والميم ٢٦٠ مرة، والراء ١٣٥ مرة، وقد نُشرت هذه الإحصاءات في كتابٍ للدكتور رشاد خليفة تحت عنوان "معجزة القرآن– Miracle Of the Quran" مستخدماً الحاسب الإلكتروني في العد. وهذه معجزة بالفعل، إذا علمنا أن القرآن تنزل متفرقاً على مدى ٢٣ سنة، ولا يمكن أحداً من البشر أن يتحكم بمثل هذا التعداد. كما أن عدد الكلمات في سورة آل عمران الفاصلة بين كلمتي رسول الدالة على عيسى ومحمد بلغت ٥٧١ كلمة، وهذا هو بالضبط عدد السنوات الفاصلة بين ميلاد هذين الرسولين.

يقول الدكتور بوريس بوكاي" الجراح الفرنسي: "بفضل الدراسة الواعية للنص العربي للقرآن، استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن ليس فيه أية مقولةٍ قابلةٍ للنقد من وجهة

نظر العلم في العصر الحديث".

لنستعرض الآن بعض هذه المعجزات:

أولاً- المعجزات التاريخية:

١- *لم يعش النبي يوسف زمن الفراعنة*: ذكر القرآن اسم فرعون كثيراً حاكماً لمصر، إلا في قصة يوسف إذ وصفه بالملك.(وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي) (يوسف ٥٤). وهذا دليل على أن يوسف خلال وجوده في مصر لم يعش زمن الفراعنة، وبعد قرون طويلة على نزول هذه الآية تم اكتشاف حجر رشيد، وحلّ رموز اللغة المصرية القديمة. وثبت أن يوسف عاش زمن الهكسوس الذين طردهم الفراعنة فيما بعد وعادوا إلى الحكم.

٢- *انتصار الروم*: تقول الآية الكريمة (غُلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعد غَلَبهم سيغلبون في بضع سنين) (الروم ٢-٣). وجملة أدنى الأرض، حين نزل القرآن، كان يفهم منها المكان القريب من أرض العرب. ولما تقدم العلم، واستطاع أن يصوّر الأرض بالأقمار الصناعية، ويكتشف كل تضاريسها، وجد أن مكان المعركة التي وقعت بين الفرس والروم، كان أخفض من سطح البحر، وأكثر الأماكن انخفاضاً على سطح الأرض. ثم تقول الآية(وهم من بعد غَلَبهم سيغلبون في بضع سنين). حينذاك أكد الصحابة للكفار أن انتصار الروم سيقع قريباً، وراهن على ذلك أبو بكر الصديق. وبالفعل انتصر الروم على الفرس بعد تسع سنين، وفرح المسلمون بذلك لأن الروم كانوا من أهل الكتاب... وهناك أحاديث نبوية تتضمن التنبؤ بفتح جزيرة العرب وبلاد الفرس والروم ومصر وغيرها. وكلها تحققت فيما بعد.

ثانياً- المعجزات الطبية:

١- فوائد التمر والسواك وضرر الجراثيم: يقول الله تعالى عن مريم العذراء(فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة، قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً. فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحت سرياً، وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رُطباً جنياً، فكلي واشربي وقرّي عيناً)(مريم ٢٣- ٢٥). وفي الحديث الشريف: "العجوة من الجنة وهي شفاء" (رواه النسائي).

تبين اليوم أن التمر يحتوي على مواد كثيرة، مفيدة للحامل والنفساء خاصة. فالتمر غني بالفيتامينين آ و ب، والمواد السكرية والسللوز والمغنزيوم... الخ. وهذه المواد لها فائدة كبيرة للحامل والنفساء، فهي تقيمها من اختلاطات عديدة، كضعف القلب، وقصور الكبد، ونقص الرؤية، والإمساك... الخ، وتسهّل عملية الولادة، كما أنها تقبض شرايين الرحم فتمنع النزف، وتقلّص عضلات الغدة الثديية فيسهُل تدفق الحليب. وفيها خاصيةٌ مسكنةٌ تزيل ألم الخوالف بعد الولادة.

وهناك أحاديث كثيرة تفيد في حفظ الصحة مثلاً: "تنكّبوا الغُبار فمنه تكون النُسَمَة". وما هي

النسمة؟ قال المفسرون إنها حيواناتٌ دقيقة الحجم تسبب ضيق التنفس والربو. والآن بعد اكتشاف الجراثيم ثبت أنها هي المقصودة من كلمة النَسَمة.

وكذلك عن السِواك، إذ كان الرسول يحب السواك لتنظيف أسنانه، وبقيت هذه السنة متبعة حتى اليوم. وبعد ١٤ قرناً من الزمان أعلن الدكتور "كينيت كيوديل"، أن السواك يحتوي على مادةٍ مطهّرة تمنع تسوس الأسنان، حتى إن بعض الشركات أصبحت تصنع معاجين يدخل في تركيبها السواك.

٢- **خَلْقُ الإنسان من طين:** (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) (المؤمنون ١٢) والطين موجود في كل مكان. وأخذ العلماء الطين وحللوه، فوجدوه مكوناً من ثمانية عشر عنصراً، منها الحديد والبوتاسيوم والأوكسجين والآزوت والمغنزيوم... الخ. ثم درسوا جسم الإنسان، فوجدوه يتكون من هذه المواد بالضبط. بل إن نسبتها متقاربة بصورة مدهشة: فالأوكسجين يشكل ٦٠٪ من تركيب جسم الإنسان و ٥٥٪ من تركيب الطين، والفسفور والصوديوم ٢٪ في جسم الإنسان و ٢٪ في الطين، والكربون ٢٠٪ في جسم الإنسان و١٨٪ في الطين... الخ. وهذا دليل صارخ على أن الأرض هي أصل جسم الإنسان.

هنا تتجلى الدقة والإبداع الإلهي في صوغ تلك العناصر، فبينما هي جامدة خاملة، لا حركة فيها ولا حياة، نجدها كائناً حياً، متحركاً عاملاً في جسم الإنسان. فقد نُفخت الروح في الطين فنطق، وتحوّل إلى عينين، ولسان وشفتين، ودماغ عاقل مفكر يعي نفسه والوجود حوله.. بل أصبحت مادة الطين هذه بمثابة أشرطة تسجيل، تسجل كل حركة من حركات صاحبها، وتنطق بها يوم الحساب، وهذا لعمري منتهى العدل في محاكمة الإنسان يوم القيامة(اليوم نختم على أفواههم، وتكلمنا أيديهم/ وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) (يس ٦٥).

وكأن الشاعرة العربية رابعة العدوية، قد نطقت بهذه الحقيقة العلمية دون أن تدري حين قالت:

إذا صحّ منك الود فـالكل هيّـن وكل الذي فوق التراب تراب

وبعد آية الطين تأتي الآية التالية: (ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة، فخلقنا المضغة عظاماً، فكسونا العظام لحماً، ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين) (المؤمنون ١٣- ١٤). وهنا نترك الكلام للبروفسور الكندي"كيث مور" رئيس قسم التشريح والأجنة في جامعة"تورنتو" إذ يقول: عندما يبدأ الجنين بالنمو في بطن أمه يكون شكله شبيهاً بالعلقة أو الدودة. وعُرِضَ صورةً بالأشعة لبداية الخلق، ومعها صورةٌ للعلقة، فظهر التشابه واضحاً بين الاثنين.

ولما قيل له إن العلقة عند العرب معناها الدم المتجمد... ذُهل وقال إن ما ذكر في القرآن ليس مجردَ وصف دقيق لشكل الجنين الخارجي، بل وصفٌ دقيق لتكوينه. ذلك أنه في مرحلة العلقة تكون الدماء محبوسةً في العروق الدقيقة على شكل دمٍ متجمد. فإذا انتقلنا إلى المرحلة التالية(فخلقنا العلقة مضغة) نجد الصورة المأخوذة بالأشعة للجنين في مرحلة المضغة شبيهةً بقطعةٍ من الصلصال أو

اللبان الممضوغ، ووجدت فيها تجويفات شبيهة بعلامات مضغ الأسنان. بل إن الله سبحانه وتعالى تجاوز مرحلة الشكل الخارجي إلى التكوين الداخلي حين قال: (مضغةً مخلّقة وغير مُخلقة)(الحج ٥). وعندما جيء بالمضغة الآدمية من رحم الأم، وطولها سنتمتر واحد، وشُرحت تحت المجهر الإلكتروني، وجد أن بعض أجهزة الجنين قد بدأت تتخلق أو بعضها الآخر لم يتخلق بعد.

وعَرَض العالم الكندي المذكور كل أطوار الجنين في رحم الأم، والتي التُقطت بأحدث الأجهزة العلمية، فإذا بها تنطبق على كل ما ذكر في القرآن. ولما قيل له: هل كان من الممكن لمحمد(ص) أن يعرف هذه التفصيلات عن أطوار الجنين؟ قال: هذا مستحيل، فالعالم كله في ذلك العصر لم يكن يعرف أن الجنين يُخلق على أطوار، وأن العِلْم لم يستطع حتى الآن تسمية أطوار الجنين، بل أعطاها أرقاماً بشكل معقد غير مفهوم، في حين جاءت في القرآن بأسماء محددة بسيطة في غاية الدقة. ويتضح لي أن هذه الأدلة جاءت وحياً لمحمد من عند الله. وهذا يثبت لي أن محمداً رسول الله، ثم قال إنه مستعد أن يشير في الطبعات القادمة من كتبه إلى هذه الحقائق القرآنية.

وهناك عالم آخر أشهر إسلامَه لسماع الآية التالية: (كلما نَضِجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) (النساء ٥٦)، وهو البروفسور التايلاندي"تاجاسن"، الذي يُعد من أكبر علماء التشريح في العالم، وذلك عندما كان يتحدث عن الأعصاب، وكيف أنها موجودة تحت الجلد مباشرة، بحيث إذا احترق الجلد انتهى الإحساس بالألم.

ففي هذه الآية يريد الحق سبحانه أن يعلمنا أن عذاب النار دائم ومستمر، لا يخفف ولا يتوقف، ولما كان في علمه تعالى أن الجلود إذا احترقت انتهى الإحساس بالألم، نبّهنا إلى أن جلود أهل النار كلما احترقت بدلهم جلوداً غيرَها ليستمر عذابهُم. وحين فهم البروفسور تاجاسن" ذلك قال: أهذا الكلام قيل منذ أربعة عشر قرناً؟ قالوا نعم. قال إن هذه الحقيقة لم يعرفها العلم إلا أخيراً، ولا يمكن لبشر أن يقولها.لقد حان الوقت لأن أشهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. كما أن هناك جراحاً فرنسياً هو الدكتور"موريس يوكاي" أعلن إسلامه حينما قرأ مثل هذه المعلومات الدقيقة، وألف كتاباً عن الإعجاز العلمي في القرآن وقارنه مع الكتب المقدسة الأخرى.

٣- **بصمة الأصابع:** قال تعالى(أيحسب الإنسان ألّن نجمع عظامه، بلى قادرين على أن نسوّي بنانه) (القيامة ٣-٤). أي أن الخالق سيبدع ما هو أعظم من إعادة خلق العظام، التي ما هي سوى مادة مركبة من الكلس والفسفور والمغنزيوم والبروتين، وذات شكل بسيط. أما الأعجب من ذلك فهو صنع الأصابع بلحمها وعظمها، ودقة إحساسها وحركاتها. ومع ذلك ظلت البلاغة في هذا البيان الإلهي غامضة بالنسبة إلى البشر، وظل تفسير هذه الآية الدامغ طيّ الغيب، حتى جاء القرن الثامن عشر: ففيه وجد العالم الألماني "ماير"، في ١٧٥٨، أن ترتيب الخطوط البارزة في أصابع الكفين لا يمكن أن يتطابق عند اثنين من بني البشر، وسماها الخطوط الحليمية، وسمى الأشكال التي بينها بالأخاديد الحليمية. وبالفحص والتصوير والتكبير تبين أن الخطوط مؤلفة من أقواس ومنحنيات وزوايا وتفرعات، وهذه الخطوط قد تلتحم وتتفرع، والأقواس قد تكون صغيرة أو واسعة، ملتحمة أو

منفصلة، وهذا ما يسمى بالبصمة فبَصمَات الأنامل لا يمكن أن تتطابق بين اثنين على وجه الأرض. وغدت البصمة الهوية الحقيقية للإنسان، والدليل على خصوصيته واستقلال شخصيته. وقد توصل عالم أمريكي مختص بالعلوم الجنائية من جامعة كاليفورنيا، إلى أن احتمال تطابق بصمتين لدى بني البشر هو ١/٦٤ مليار، أي أن التطابق مستحيل في عصرنا هذا، إذا علمنا أن عدد سكان الأرض يبلغ نحو ٥ مليارات نسمة!

وفحوى الآية أن الله قادر ليس فقط على إعادة خلق الإنسان، بل على إعادة أدق المميزات إليه التي لا يمكن أن يتشابه بها اثنان على مدى العصور، ألا وهي بصمة الأصابع، أي أن الهوية الشخصيته التي منحها الخالق لعباده في بطون أمهاتهم وحتى مماتهم سيحملونها أيضاً يوم القيامة. فسبحان الله أحسن الخالقين.

٤- الروح: لنستمع إلى الآية الكريمة: (فإذا سويتُه ونفختُ فيه من روحي فقعوا له ساجدين) (الحجر ٢٩)، وإلى الحديث الشريف: " إن أحدكم يُجمَعُ خلقُه في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثلَ ذلك، ثم يُرسل الملك فينفخ فيه الروح" (أخرجه الشيخان).

وقبل نفخ الروح يكون الإنسان كالنبات، ثم بعد أن يبدأ خلق الدماغ يأتي المَلَك وينفخ الروحَ فيه ويسيطر الدماغ على أعضاء الجسم. والروح منسوبة إلى الله، وليست جزءاً منه، فيقال روح الله وعبد الله ورسول الله وناقة الله ... فالروح التي في عيسى ومحمد من جنس الروح التي في آدم، وكلها مخلوقة له تعالى، وليست بعضيةً أو جزءاً من الذات العلية.

(ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) (الإسراء ٨٠)، وحتى الآن لم يستطع أحد أن يدرك ماهية الروح. جاء في الحديث الشريف: "يُرسل مَلَكٌ للجنين وهو في بطن أمه فينفخ فيه الروح. وإن الملكين يوقظان الميت في قبره، فيسألونه عن ربه ودينه ونبيه، ثم يصعدان بروحه إلى السماء، أو ينزلان بها إلى بطن الأرض". أي إلى المائع الناري إن كان من الضالين. فالله وحده الخالق المصور المبدع، أوجد الإنسان أكمل إيجاد فسواه أحسن تسوية: أجهزته متناسقة، أعضاؤه في أدق صورة، منتقلاً به في مراحل العمر من سلالة من طين إلى نطفة ثم إلى مضغة، ثم نفخ فيه من روحه. وإذا بالجنين يتحرك في الرحم تحركاً غريزاً، ثم يصبح له ذاتٌ مستقلة، بسريان اللطيفة الروحانية في الكثيفة الجسدية، إلى أن يخرج طفلاً، ثم يصير فتى ثم شيخاً. وهو في الأحوال كافة يجد من العناية الإلهية لطائفَ الإمداد المتوالية التي تحقق مصلحته وتوفر راحته، وتمكنه من القيام لله بواجب العبودية.

وحين يولد الإنسان ويكبر تصبح الروح، التي تلبس الجسد كالثوب، شخصيةً كاملة مسؤولة أمام الله والمجتمع. فهي التي تتعلم وتفكر وتبدع، وتدافع عن الجسد ضد الجراثيم وتلئم الجروح. وهي التي تؤدي أعمالاً تتجاوز حدود الجسد: كالإيحاء والتلقي عن الملائكة والخواطر والرؤى التي لا حدود لها. وهي التي تنبئ الإنسان بما سيحدث في المستقبل... الخ. وهناك بعض الأولياء الذين اكتشفوا روح الله فيهم، كالشيخ محيي الدين بن عربي، فحلّقوا بروحهم إلى السموات واجتمعوا هناك

بالأنبياء.. الخ

فإذا قيل أن المخ هو الذي يقوم بمثل هذه الأعمال، فإنه لا يعدو كونه مكتباً للروح، ذلك لأن المخ قد يمرض، ويتخرب نصفه ويبقى المريض متمتعاً بالإدراك والوعي والعلم. أما مكان الروح فهي تحل في كل الجسم وكل الخلايا. كالكهرباء- تتوزع فيه، ومركزها القلب. لذا عُبِّر عنها بالقلب، فقال تعالى(فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) (الحج ٤٦)

٥- **ضيق النفس في الأماكن العالية:** قال تعالى: (فمن يرد الله أن يهديَهُ يشرحْ صدرهُ للإسلام، ومن يرد أن يُضلَّه يجعل صدرهَ ضيقاً حرَجاً كأنما يصَّعَّدُ في السماء...) (الأنعام ١٢٥).

من المعلوم أن هناك مركز تبادل خارجي في الجسم، يستورد من الهواء الخارجي أثمن المواد اللازمة للجسم، وهو الأوكسجين، الذي ينتقل من الرئتين إلى الدم، ويتوزع على الخلايا ليقوم بحرق الأغذية ولا سيما السكريات، لإنتاج الطاقة اللازمة لديمومة الحياة. فالأوكسجين يشكل ٢١٪ من تركيب الهواء، وحينما ينقص تركيزه إلى ١٥٪ وما دون يشعر مركز التنفس في البصلة بذلك، فيأمر بتسريع التنفس من ١٦ إلى ٣٠ مرة في الدقيقة ولما كان تركيز الأوكسجين يتناقص في الهواء مع ازدياد بعد الهواء عن سطح الأرض فإن الإنسان الذي يصعد الجبال العالية فوق ٢٠٠٠ م، يشعر بأن نفسَهُ أصبح ضيقاً حَرِجاً. علماً بأن العرب، حين نزل القرآن الكريم، لم يكن لديهم جبال شامخة ولا مراكب فضائية! فمن أين عرف محمد هذه المعلومات؟ إنها تنزيل من الحكيم العليم.

٦- **آلية الأبصار:** قال تعالى(فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة) (الإسراء ١٢). هنا يوصف النهار بأنه مبصر! وإذا حكمنا المنطق في مسألة أيهما المبصر النهار أم العين يكون القرار التلقائي أن العين هي المبصرة. لكن الحقيقة تختلف عن ذلك. فقد ثبت علمياً أن ضوء الشمس ينعكس على الأشياء، ثم تدخل أشعته إلى العين فتبصر. فالعين لا تبصر بحد ذاتها، لكنها تبصر بالضوء الذي ينعكس على الأشياء أمامها ثم يدخل فيها. فإذا غاب هذا الضوء وحلّ الظلام لا ترى العين شيئاً. وحين نزلت هذه الآية(وجعلنا آية النهار مبصرة) لم يكن البشر يعرفون آلية الإبصار. فمن أين لمحمد أن يعرف أن الإبصار يحدث بضوء النهار، وما الذي جعله يغامر بذكر قضية علمية كهذه قد يُثبت العلمُ عدم صحتها؟ أليس ذلك دليلاً مادياً كافياً للإيمان بالله وبأن القرآن منزل من لدن خالق الأكوان؟

٧- **المناعة من مرض الإيدز.** قال تعالى(ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشةً وساء سبيلاً) (الإسراء ٣٢)، وقال عليه السلام "لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يُعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا" (رواه الحاكم). وهذا ينطبق على مرض الإيدز الذي لم يكن معروفاً في الأجيال السابقة. وهنا نقول لو لم يحمل الإسلامُ لأتباعه سوى الوقاية من الخمرة والزنى وعواقبهما لكفاه عزاً وفخراً. والمؤمن لا يفتر عن شكر الله على نعمة الصحة والإسلام والإيمان.

جاء في مرجع"ميرك" الطبي العالمي أن الأمراض الناتجة من العلاقات الجنسية غير الشرعية تزداد عاماً بعد عام ويقدر عدد حاملي فيروس الإيدز بعشرة ملايين شخص، والسيلان أكثر من ٢٥٠

مليون سنوياً، والزهري Syphlis ٥٠ مليون سنوياً. وهناك ٢٠ مليوناً من الأمريكيين يعانون مرض الجَلأ التناسلي Herpes أي أن عدد المصابين بالأمراض التناسلية في العالم وصل إلى ٣٣٠ مليون شخص، لكنك لن تجد بينهم مسلماً واحداً متمسكاً بشريعة الله.

ومرض الإيدز (أي نقص المناعة المكتسبة) مميت خلال عامين أو ثلاثة من التشخيص، وحتى اليوم لم يتوصل العلم إلى دواء ناجع له. والأموال التي تُنفق على العناية بمريض واحد تتراوح ما بين ٥٥ و ١٠٠ ألف دولار.

كل هذا ناجم عن الجهل بأحكام القرآن، أو عدم الالتزام بها، والمعجزة اليوم هي أن المسلم الحقيقي يحوز المناعة التامة من الإصابة بهذا المرض، وغيره من الأمراض الجنسية والاجتماعية، مع أنه يلبي غريزته الجنسية إلى أقصى حد بصورة شرعية وهناك حكمة كبيرة في إباحة الطلاق وتعدد الزوجات بحيث يحتفظ الرجل والمرأة بحق العيش مع من يحب ولا ينظر إلى الحرام.

وقد شجع الإسلام على الزواج فقال الرسول الأعظم: "إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريض" (رواه أبو داوود والترمذي). حتى إنك إذا ساعدت ابنك أو قريبك على الزواج خيرٌ لك من أداء فريضة الحج. وفي الوقت ذاته فرضت عقوباتٌ صارمة بحق من يخالف أوامر الله، ويتبع شهواته بالأسلوب الحيواني: (الزانية والزاني فاجلدوا كلَّ واحد منهما مائةَ جلدة) (النور ١) أما إذا كان الزاني متزوجاً فيجلد حتى الموت، والحكمة هنا واضحة: إذا مات واحد من الزُّناة بعقوبة الإعدام. خير من أن يترك ليضل الناس وينشر بينهم الأمراض الخبيثة، ويموت الملايين بسببه، ومنهم أبناء الزنى.

يقول عليه السلام "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن" (رواه البخاري ومسلم). وهكذا وهب الباري عبده المؤمن المناعة التامة من مرض الإيدز.

المعجزات الفلكية والجغرافية:

١- كروية الأرض ودورانها: قال تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) (النازعات ٣٠) فكروية الأرض وردت بصريح العبارة، إذ أن كلمة دحى تعني قذفَ ورمى ودحرجَ، أي قذفها ودحرجها من كوكب كبير كانت ملتصقة به. والدحية بيضة النعام، ذات الشكل الكروي مع تفلطح قليل. والمعروف أن القطر الاستوائي للأرض أكبر من القطر القطبي بسبعين كيلو متر (١٢٧٨٥- ١٢٧١٥ كم) وهذا ما يعطي الكرة الأرضية شكلاً مفلطحاً.

وهناك آيةٌ أخرى تنطق بكروية الأرض وهي (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) (الحج ٦١).

والإيلاج معناه الإدخال في جسم كروي. وبالفعل نجد الليل والنهار يتلاحقان بشكل يدعو للدهشة،

فلا تغيب الشمس عن جزء من الأرض ويحلُّ الظلام إلا وتشرق وتضيء على جُزء آخر، مماثل ومساوٍ من الأرض. فلو كانت الأرض مسطحة لسطعت عليها الشمس دفعة واحدة ولغابت دفعة واحدة.

وهناك آية أخرى(والأرضَ مددناها)(الحِجْر ١٩) تتضمن إعجازاً علمياً ولغوياً في آن واحد، وتعطي الحقيقة الظاهرة للعين، والحقيقة العلمية المختفية عن العقول، وقت نزول القرآن. فكلمةُ مددناها معناها إنك حيثما كنت ترى الأرض أمامك منبسطةً، سواء كنت في أمريكا أو أوروبا أو القطب الشمالي والجنوبي، فلو كانت الأرض مستطيلةً فإنك تصل فيها إلى الحافة، وهناك لن ترى الأرض ممدودة، بل ترى حافة الأرض ثم الفضاء تحتها. لكن الشكل الهندسي الوحيد الذي يمكن أن تكون الأرض ممدودة، بل ترى حافة الأرض ثم الفضاء تحتها. لكن الشكل الهندسي الوحيد الذي يمكن أن تكون الأرض فيه ممدودةً في كل بقعةٍ تصل إليها هي أن تكون كروية.

أما دورانها حول نفسها فتبرهن عليه الآية التالية: (وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب، صنعُ الله الذي أتقن كل شيء..) (النمل ٨٧). لكن لماذا لا نشعر بتحرك الجبال!؟ الجواب أن الأرض تدور بنا جميعاً، وبفعل قوة الجاذبية نظل ملتصقين بالجبال ولا نشعر بدورانها. ولما كانت سرعة دوران الأرض ١٠٠٠ ميل في الساعة، ومحيطها ٢٤ ألف ميل، فهي تكمل دورتها حول نفسها خلال ٢٤ ساعة، وبدورانها هذا ينقسم اليوم إلى ليل ونهار متساويين تقريباً. وسرعة الدوران هذه غايةٌ في الدقة، فلو كانت مثلاً ١٠٠ ميل في الساعة لأصبح ليلنا ونهارنا بطول ١٢٠ ساعة، ولتعرضت المزروعات للتلف، نتيجةً لطول النهار وجفافه وطول الليل وبرودته، ولاختلَّ ميزان العمل ولانقرضت الحياة على وجه الأرض!

ومن حكمة دوران الأرض تولّد قوةٍ نابذةٍ تساوي وتعاكس قوة الجاذبية الأرضية، وتمنع التصاق الكائنات بسطح الأرض. وقوةُ الجاذبية ميزةٌ ولغزٌ تميزتْ به الأرض، والدليل على ذلك الآية الكريمة(ألم نجعل الأرض كفاتاً) (المرسلات ٢٥). والانكفات ه هو الانصباب والانجذاب، وكل شيء على سطح الأرض ينكفت باتجاهها. ولولا ذلك لتبخرت مياه الأنهار والمحيطات، ولهرب الهواء من غلاف الأرض إلى أعماق الفضاء، ولكانت كل خطوةٍ على سطح الأرض ترفع الإنسانَ عشرات الأمتار في الفضاء. وما انعدامُ الغلاف الجوي للقمر إلا نتيجةً لضعف جاذبيته. فجاذبية القمر تعادل ٦/١ جاذبية الأرض، مما جعل رواد الفضاء يربطون أنفسهم بالحبال بمركباتهم خوف الضياع.

كان العالم "غاليلي" أولَ من أثبت أن الأرض كروية، تدور مع الكواكب السيارة حول الشمس وحول نفسها، وهذا ما قاده إلى محاكم التفتيش في العام ١٦٣٣م، وتحت التهديد بالقتل تراجع غاليلي عن هذه النظرية وأكد نظرية بطليموس بعدم الدوران.

٢- عدم اختلاط مياه البحار المتجاورة: قال تعالى: (مَرَجَ البحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان) (الرحمن ١٩)، والبرزخ هو الحاجز. فالبحار تشكل ٤/٣ مساحة الكرة الأرضية، وهي شديدة الملوحة، ولولا ذلك لدب فيها الفساد من حيواناتها التي تموت، ولتكاثرت فيها الجراثيم أيضاً نتيجةً لما

تحمله الأنهار إليها من مخلفات اليابسة. عندئذ يتحول البحر إلى مستنقع ومصدر للأمراض يُهلك الكائنات الحية. وقد ثبت علمياً أن الماء العذب لا يختلط بالماء الملح، مادام الماء العذب يتحرك بسرعة معينة وهذا يعود إلى أن فرق الكثافة الذي يجعل الماء العذب يمتزج بالماء المالح يتغلب عليه عامل الحركة والسرعة فيمنع الاختلاط بينهما. والدليل على ذلك أن المياه تبقى عذبة مسافة معينة داخل البحر في مصبات الأنهار. فالنيل مثلاً يبقى ماؤه عذباً حتى عدة كيلو مترات داخل البحر المتوسط، ونهر الأمازون الشديد الغزارة يتدفق داخل المحيط الأطلسي، ويبقى عذباً حتى ١٠٠ كم، وعندها يتغلب ضغط ماء المحيط على غزارة ماء الأمازون فيمتزجان.

لقد ثبت علمياً أن هناك حاجزاً مائياً يفصل بين المياه المالحة ذاتها، حيث أن لكل بحر خاصية من الكثافة والملوحة والحرارة. وهذا يلاحظ بين مياه البحر المتوسط الساخنة والمالحة، ومياه المحيط الأطلسي البارد، والأقل ملوحة، وكذلك عند التقاء البحر الأحمر والمحيط الهندي... وقد كُشف هذا الأمرُ قبل عدة سنوات فقط، لأن الحاجز لا يرى بالعين المجردة. وبعد التصوير بالأقمار الصناعية ظهر خط أبيض رفيع يفصل بين كل بحر وآخر، بل ظهر كلُّ بحرٍ بلون مختلف: فبعضها أزرق، وبعضها أسود، وبعضها أصفر، حسب اختلاف درجات الحرارة في كل بحر.

والسؤال الآن: من الذي كان يعلم أن البحار المالحة تتمايز، ولا تختلط فيما بينها، على الرغم من اتحادها في الأوصاف الظاهرة كالملوحة والزرقة والأمواج؟ من علّم محمداً(ص) كل هذه العلوم التي لم تكتشف إلا مؤخراً؟ (قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً)(الفرقان ٦).

٣- (وكلٌّ في فلك يسبحون)(يس ٤٠): من المعلوم أن قوة الجاذبية تمسك بالأجرام السماوية، وتجعلها تسير حسب ما رسم لها وأودعت من أسرار. فالأرض تدور حول نفسها وحول الشمس، والشمس تدور حول مركز المجرة، والمجرة تنطلق بدورها في الفضاء الفسيح متباعدة عن المجرات الأخرى، مما يؤدي إلى اتساع الكون وتمدده في الاتجاهات كافة، مصداقاً لقوله تعالى(والسماء بنيناها بأيْدٍ وإنا لموسعون) (الذاريات ٤٧).

وإذا أمعنا النظر في بنية الذرات وجدناها تشبه المجرة الفضائية. فالذرة، حسب وصف العالم الفيزيائي "رزدفورد" عبارة عن نواة مركزية موجبة، فيها نترونات عديمة الشحنة وبروتونات موجبة، وهذه النواة محاطة بالكترونات سالبة تدور حولها بسرعة هائلة، مولدة قوة نابذة كافية لكي لا تنجذب وتسقط على النواة الموجبة* ولتصوّر حجم الفراغ في بنية الذرة يمكن تشبيه الذرة بملعب كرة قدم ونجد هنا حجم النواة بالنسبة إلى الذرة، كحجم حبة العدس بالنسبة إلى مساحة الملعب، وتدور حولها الإلكترونات التي بحجم ذرة الغبار على محيط الملعب. اما باقي حجم الذرة(أو حجم الملعب) فهو فراغ مطلق، وبلغة الأرقام فإن حجم النواة والإلكترونات يساوي واحداً من ألف مليون من حجم

* تتوضع الإلكترونات على أغلفة محيط بالنواة، وعدد هذه الأغلفة يختلف من عنصر لآخر، ويتراوح عددها بين غلاف واحد كما في ذرة الهيدروجين والهليوم، وسبعة أغلفة كما في ذرة الراديوم والأورانيوم.

الذرة.

٤- نظرية الانفجار العظيم Big Bank أو ميلاد الكون: تتلخص هذه النظرية، والتي توصل إليها العالم "فريدمان" في العشرينيات من هذا القرن، وطوّرها العالم "لو متر" في العام ١٩٤٨، في أن العالم ولد في أعقاب تمدد هائل في المادة، إثر انفجار عظيم بدأ منذ نحو ١٣ مليار سنة. وقبل بداية خلق الكون كانت كل مادته وطاقته متجمعة في بؤرة صغيرة سميت البيضة الكونية Cosmic Egg. أي أن الكون بدأ من بؤرة صغيرة وحرارة مرتفعة لا نهاية لها، وكثافة هائلة لا يتصورها العقل. وفي ظروف نجهلها انفجرت هذه النواة انفجاراً عظيماً مهولاً، فتناثرت محتوياتها في كل اتجاه. وبدأ الزمان واتسع المكان، وكان بدء الخليقة.

لقد تحولت الطاقة إلى مادة، ومازال ضجيج الانفجار يملأ الفضاء، وهو صدى الشرارة الأولى الهائلة التي سببت الانفجار. وكانت الأرض حينذاك متصلة في محيطها، ثم أصبحت تتباعد حتى تخللتها البحار والبحيرات وظهرت القارات على امتداد ١٣ مليار سنة، وأخذت الكرة الأرضية شكلها الحالي منذ عدة ملايين من السنين.

بعد أن أصبحت نظرية "الانفجار العظيم" من مسلمات علم الفلك الحديث، نجدها تنطبق انطباقاً مذهلاً على ما أخبرنا به القرآن الكريم: (السماء بنيناها بأيْيْد وإنا لموسعون) (الذاريات ٤٧)، (وكل في فلك يسبحون) (يس ٤٠)، (الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها) (الرعد ٢). وهذه إشارة إلى الجاذبية، (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) (فاطر ٤١)، (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانت رَتقاً ففتقناهما، وجعلنا من الماء كل شيء حي، أفلا يؤمنون) (الأنبياء ٣٠)، ورتقاً هنا معناها مجتمعة كتلة واحدة، ففتقناهما بانفجار عظيم انطلقت منه وبه مادة الكون، وخلقت السموات وخلق الزمان والمكان.

هذا وإذا كان العلماء متفقين على ميلاد الكون، إلا أنهم لم يتفقوا على نهايته. وهناك نظرية يتبناها معظم علماء الفلك المعاصرون، وهي نظرية "الانكماش العظيم" والتي تنص على تقلص الكون وعودته إلى نقطة البداية، التي كان عليها قبل الانفجار العظيم، وهذه النظرية تنسب إلى العالم الشهير "ستيفان فاينبرغ"، مؤلف كتاب "الدقائق الثلاث الأولى". ثم جاء العالم "ستيفان هوكنج" ليؤيد هذه النظرية في كتابه "تاريخ موجز للزمن" الصادر في العام ١٩٨٨م.

تتلخص نظرية الانكماش العظيم بأن الكون الذي بدأ بالانفجار العظيم سوف يستمر في تمدده وتوسعه عشرة مليارات سنة أخرى على الأقل، ثم يرتد على نفسه ويتوقف التمدد ويبدأ الانكماش إلى أن يصل إلى نقطة البداية. وهذا يحتاج إلى المدة ذاتها التي استغرقها تمدد الكون، أي ٢٠- ٢٥ مليار سنة. والآن لنستمع إلى الآية الكريمة التي تلخص هذه النظرية، التي ظل العلماء يدرسونها ألوف السنين: (يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب، كما بدأنا أول خلق نعيده، وعداً علينا إنّا كنا فاعلين) (الأنبياء ١٠٤).

٥- وجود المائع الناري في جوف الأرض: قال صلى الله عليه وسلم لمسافر أتاه ليركب البحر

الأحمر: "لا تركب البحر إلا حاجاً أو معتمراً أو غازياً، فإن تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً"(رواه أبو داود).

من المعلوم أن تحت البحر الأحمر يوجد مائع ناري في جوف الأرض، وتحت المائع الناري من الجهة المقابلة يوجد المحيط الهادي، وهذه إشارة إلى وجود المائع الناري وإلى كروية الأرض بما يتفق والعلم الحديث. استمع إلى ما قاله الأديب والمفكر الغربي" برناردشو" الذي درس الإسلام وتاريخ النبي محمد وأسلم: "إن محمداً يجب أن يُدعى منقذ الإنسانية، إنني أعتقد أنه لو تولى رجلٌ مثله زعامة العالم الحديث، لنجح في حل مشكلاته بطريقة تجلب إلى العالم السلام والسعادة، بهذه الروح يجب أن تفهموا كلامي، فمحمد هو أكمل البشر من الغابرين والحاضرين، ولا يُتصور وجود مثله في الآتين".

وهكذا فالمعجزات القرآنية لا حدود لها. ولا يزال العلمُ طفلاً على الرغم مما توصل إليه أخيراً من اكتشافات عظيمة كأشعة الليزر والمحطات الفضائية والكمبيوتر وأسلحة الدمار الشامل... وما أكثرَ الحقائق التي تقع خارج مدارك الإنسان. وأرضنا بالنسبة إلى الكون نقطةٌ في بحر. وذراتها ليست ثابتة بل تتحول إلى أشعة وطاقات أخرى كالحرارة والكهرباء والمغناطيس وغيرها. وكان العلم فيما مضى يتصور أن المادة جامدة لا حركة فيها، لكن ثبت اليوم، كما أسلفنا، أنها في حركة دائبة، واكتشف كثيراً من أسرارها، وتوصل إلى أن كلاً من الحيوان والنبات مكونٌ من خلايا حية، وكلّ خلية حية على صغرها تؤدي أعمالاً يصعب على الإنسان المتحضر أداؤها بأحدث الآلات كصنع البروتينات والحموض الأمينية وتوليد الأوكسجين وهضم المأكولات... الخ، حتى إذا فارقتها الحياة توقفت عن تأدية وظائفها. ولا يمتاز الإنسان عن الحيوان والنبات بامتلاكه العقل. فسبحان القائل العظيم(سنريهم آياتنا في الآفاق، وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد) (فصلت ٥٣).

وفي ختام حديثنا سنلقي نظرة على اليوم الآخر الذي سيشهده كل إنسان بعد الموت: (ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون، قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا، هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) (يس ٥١- ٥٢) (وجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة) (القيامة ٢٢- ٢٣) فيمنح الإنسان الضعيف في اليوم الآخر طاقات تكشف أمامه ملكوت السموات والأرض ويرى فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويتحقق وعد الله(بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون) (البقرة ٨١- ٨٢) والخلود لابد منه سواء في الجنة أو في النار. ويدور حوار بين أصحاب الجنة وأصحاب النار، على الرغم من بعد الشقة بينهم، على غرار ما يحدث الآن عن طريق المحطات الفضائية: (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وَعَدَكم ربكم حقاً؟ قالوا نعم..) (إن الذين تدعون من دون الله عباداً أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين) (ونادى أصحابُ النار أصحابَ الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو

مما رزقكم الله، قالوا إن الله حرمها على الكافرين(الأعراف ٤٤- ١٩٤- ٤٩).

اللهم أعنا على اكتشاف الروح التي أودعتها فينا، لنرقى بها إلى أعلى درجات الإيمان، وأعنّا على دوام ذكرك وشكرك وحسن عبادتك. ولا تجعلنا يا مولانا من الغافلين.

□

□ المراجع:

١- الإسلام والحقائق العلمية للأستاذ محمود القاسم.

٢- الإنسان بين العلم والدين للأستاذ شوقي أبو خليل.

٣- زاد الدعاة الدكتور محمود البرشة.

٤- الأدلة المادية على وجود الله الشيخ محمد متولي شعراوي.

٥- مجلة الثقافة الإسلامية العدد ٧٤.

٦- من كنوز الإسلام للدكتور محمد فائز المط.

٧- الفلك والطب أمام عظمة القرآن الدكتور أحمد إدريس.

٨- الجنين المشوه الدكتور محمد علي البار

٩- الإعجاز في سورة الفاتحة طلحة جوهر.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

□□□